12 me Année No. 598

Lundi - 18 - 12 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ محرم سنة ١٣٦٤ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٢٠٠١ الثقافة والأخلاق ... : الدكتور محمد مندور ..
٢٠٠٣ السلم العالمية حلم الأبد ... : الأستاذ توحيد السلحدار بك
٢٠٠٦ شعر البارودي في منفاه : الأستاذ أحمد أحمد بدوي ..
٢٠٠٨ فرقة التمثيل ومديرها الفني : الأستاذ زكي طليمات .. ..
٢٠١٠ « الرباط المقدس » كتاب توفيق الحكيم ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ..
٢٠١٣ الدستور في شعر شوقي : الأستاذ أحمد محمد الحوفي ...
٢٠١٦ منها .. ... [قصيدة] : لشاعرة غربية ... ...
٢٠١٧ إليها .. ... » : الأستاذ علي محمود طه ...
٢٠١٨ فكاهات الشعراء » : الأستاذ محمد عبد الغني حسن والأستاذ محمد الأسمر .. ...
٢٠١٨ الجامعات الأربع في وادي النيل ... ... : الأستاذ عبد العزيز جادو .
٢٠١٩ تصويب ... . : الأستاذ زكريا إبراهيم . .
٢٠١٩ ذكري شوقي وتمثاله ... : ... ...
٢٠١٩ إلى الدكتور زكي مبارك . : الأديب إبراهيم زكي لدين بدوي
٢٠٢٠ كتاب « بساتين الفاكهة » : ... ...
٢٠٢٠ مجلة (الثريا) التونسية : ... .
٢٠٢٠ الرصافي وأبو حنيفة . : الأديب راشد سليمان ...
٢٠٢٠ غرام يوم الثلاثاء ... : ... ...

الثقـــافة والأخلاق

للدكتور محمـــد مندور

هذه مشكلة ما زالت تلح على عقلي منذ أخذت أفكر لنفسي ، ولقد كنت ولا أزال أحس أن حلها ضرورة من ضرورات الحياة ، لأنها تفسر الكثير من مواقفنا إزاء الناس ، فالحديث فيها ليس مجرد رياضة عقلية نلهو بها ونلهى القارئ — وهذا نوع من الحديث تنفر عنه نفسي بطبيعتها وما أرى فيه نفعاً لأحد — فهمة الكاتب لا ينبغي أن تكون الإفحام بالجدل ، بل الإقناع بالقلب ، ولن تصل إلى إقناع إلا إذا اكتفيت بأن تعرض تجاربك النفسية داعياً الغير إلى مثلها

أول ما أثار تلك المشكلة في نفسي هو ما قرأته في صدر الشباب « لأفلاطون » ، إذ يعرض نظرية « سقراط » في أسس الأخلاق ؛ ومن المعلوم أن هذا الفيلسوف الجليل كان يرى أن المعرفة هي عماد الخُلُق ، وقد زعم أنك لا تستطيع أن ترتكب الشر إذا أدركت أنه شر ، وأنك لا بد آت الخير إذا تحققته بنظرك . ولقد أبهج خيالي هذا الرأي ، ولكنني كنت أنظر فأرى نفسي وأرى غيري ندرك الخير والشر ، ثم لا نملك أنفسنا من الاندفاع في أعقاب الهوى ، فيساورني الشك . ووقع بين يدي يوماً قول لفيلسوف فرنسي معاصر هو بول چانيه يقول

فيه : « إن الإنسان بطبيعته يفضل الخير المحسوس على الخير المدرك » . ولما كانت شهوات النفس أقرب إلى الحس منها إلى الإدراك المجرد ، فقد كان من الطبيعي أن تستأثر بالنفس ما دام هدفنا الأخير من الحياة هو التماس السعادة بتحقيق أكبر قسط مستطاع من رغباتنا ، وليس من شك في أننا نحس أن خيرنا في هذا التحقيق . وذلك رأي يبلبل الفكر ، ولكنك ان تعدم السبيل لرده إذا تعمقت الأمور ، فإنه وإن يكن من الصحيح أننا نفضل الخير المحسوس على الخير المدرك ، إلا أننا لن نعجز عن تغليب الخير الأخلاقي إذا أنزلناه هو الآخر منزلة الخير المحس . وذلك بألا نكتفي بتحقيقه بالنظر المجرد ، بل نتعمق به إلى مجال الإحساس فندرك بقلوبنا ما فيه من جمال . وجماله نلحظه في صفات ثلاث يورثها النفس وهي : الحرية والقوة والمرح . فأما الحرية ، فأي نشوة يستشعرها الفرد عند ما يحس أنه لم يعد عبداً لشهواته ، وأما القوة ، فهل نحن بحاجة إلى أن نبصر القارئ بعظمة النفس البشرية عند ما تنطلق بقوتها كاملة لا يحدها نفع حقير نحرص عليه ، أو رغبة وضيعة تبغي تحقيقها ؟ وعند ما نحس بنفسك حرة قوية أي مرح سيأخذ بالروح عندئذ ؟ ثم هل هناك ما ينشط ملكات الخلق في الفرد مثلما ينشطها المرح الروحي ؟ وأي سعادة في الحياة تعدل سعادة الخلق ؟

هكذا نستطيع أن نجد حلاً للجزئية التي عرضنا لها ، ولكن المشكلة لا تزال قائمة في عمومها ، ولقد لاحظ الكاتب الفرنسي « ديهامل » أن من الكتاب والفنانين من وهبوا ملكات ساحرة دون أن يمنعهم ذلك من انحلال الأخلاق . ولقد قسا بهم الرجل فشبههم بالعاهرات يلهو الناس بأجسامهن ثم لا يمنعهم ذلك من احتقارهن . ولا بد لتفسير هذه الظاهرة من أن نفرق بين ثقافة النفس وملكة الخلق ، فليس من الضروري للأديب ، أو الفنان الخالق ، أن يكون رجلاً مثقفاً ، بل من الناس من يرى أن ثقل الثقافة قد يعوق الخلق ، وباستطاعتك أن تستعرض أسماء الكثيرين من كبار الكتاب أمثال : شكسبير وموليير وروسو وديكنز وبلزاك وڤالري ، ممن لم يتلقوا تعليماً جامعياً منظماً ، وإنما هم رجال وهبوا القدرة على الخلق ، ثم جدوا فحصلوا بقراءاتهم مواد أولية يعملون فيها ملكاتهم ، وليس هذا هو المقصود بالثقافة ، وإنما الثقافة بأدق معانيها هي تكوين نظام عقلي وغرس روح علمية في النفس ، وهذا النظام وتلك الروح لا يتمتعان بالتحصيل أو بجمع المواد الأولية ، بل هما راسبان يتخلفان بالنفس بعد أن ننسى ما حصلنا وما جمعنا . وعلى هذا النحو نستطيع أن نحل هذا الجزء الآخر من المشكلة ، فنميل إلى الاعتقاد بأن ثقافة النفس خليقة بأن تسدد الخلق

ولكن كيف تسدد الثقافة الخلق ؟ للجواب على ذلك يجب أن نميز بين المعرفة والثقافة : فالمعرفة التي تنحصر في تحصيل المعلومات لا نظن أن لها تأثيراً ما على الأخلاق ، وإلا فأي أثر تريد أن يكون لعلمك بقانون الجاذبية أو بأن نابليون قد انتصر في موقعة أوسترلتز أو ما شابه ذلك على سلوكك الخلقي . وعلى العكس من ذلك الثقافة بالمعنى الذي حددناه ، فإذا وصلت بفضلها إلى نظام عقلي وروح علمية ، نمت بنفسك قدرة على تمييز الحقيقة ، ثم محبتها ، وعندئذ ستحس بالحرية الروحية ، وقوة النفس ، ومرح العقل ، التي ركزنا فيها جمال الخير . ولي على هذا شاهد في أستاذ تلقيت عنه العلم ، وهو رجل دؤوب على القراءة ، وإطالة التفكير فيما يقرأ ، حتى لأحسبه لطول ما قرأ وفكر قد وصل إلى ما وصفت من نظام عقلي وروح علمية ، وأكبر ظني أن هذا النظام وتلك الروح قد أصبحا اليوم أساس سماحته الأخلاقية ، فهو من قلائل الناس الذين يحرصون على أن يعطوا كل ذي حق حقه ، وهو من قلائل الناس الذين يسلمون لكل فرد بما ينبغي أن يكون له من كبرياء ، دون أن يلقي هذا الكبرياء على نفوسهم أي شبح من ظلال . أي جمال نحس في نفسه عند ما تلوح لك خالية من عتمة الحسد ؟ وقديماً قال المفكرون : « إن قليلاً من العلم يبعد بنا عن الله ولكن كثيره يعود بنا إليه »

ونترك العلاقة بين الثقافة والأخلاق في حياة الفرد لنواجهها في حياة الأمم ، وهنا تبدو لنا ظاهرة كبيرة لا بد من تفسيرها ، وهي ما نلاحظه في التاريخ من أن جميع الأمم قد انتعى بها الأمر عند ما انسحت ثقافتها النظرية إلى الانحلال فالفناء ، وهذا